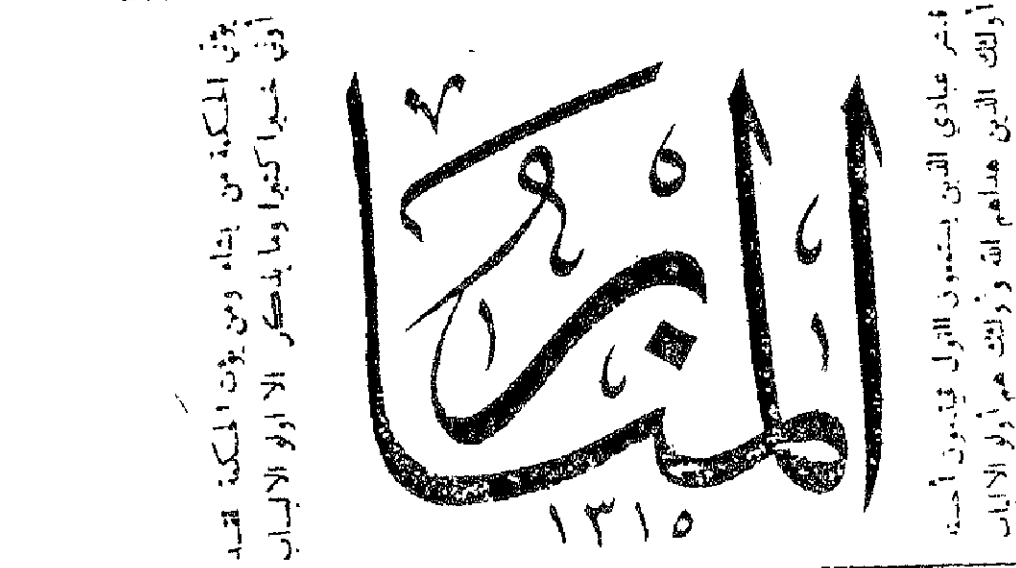

قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام عروة و «المنار» كفاه الطريق

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٦ — ٢١ الحمل (د ١) ١٢٩٦ هـ ش ١١ إبريل ١٩١٨

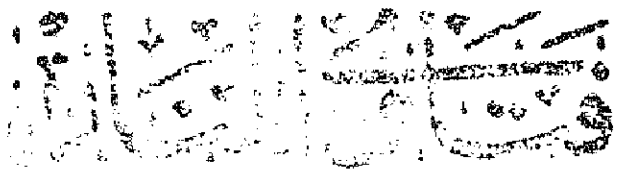

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ التمثيل العربي ﴾

﴿ اشتغال المرأة المسلمة به وتمثيل قصص الانبياء ﴾

(س ١٠) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة مولانا وراشدنا السيد رشيد رضا

جمعتني النوادي بطائفة من المتعلمين الذين قلما يخلو مجلسهم من البحث وبأية مناسبة دار بيننا ذكر التمثيل العربي و بسطنا على بساط بحثنا (١) المرأة المسلمة والتمثيل (٢) تمثيل روايات الانبياء عليهم السلام عموما وخاتمهم خصوصا فقرّ رأي فريق منا على جواز ذلك كله اذ لا تتم أدوار التمثيل وفصوله الا بالمرأة فاذا جوزنا التمثيل جوزنا ظهور المرأة المسلمة على مراسح التمثيل . وأبى مانع منا تمثيل روايات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عموما وخاتمهم خصوصا وهو لم يخرج عن كونه درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي ينشده مشاهير الوعاظ وقل من يصادفه أو يجد له أثرا ، ومنع فريق آخر كل ذلك وعده نوعا من التقليد الافرنجي الذي يستحوذ على بعض البسطاء فيعدونه مفتاح تمدن الامة في حين أنه شر عليها وعلى أخلاقها الذاتية . فهذا ما كان من الفريقين أما أنا كاتب هذه السطور فقد أعلنت الحيدة حتى أسترشد برشدكم أو أستنير بفتيا منارکم والسلام

كاتبه

محمد محمد سفان

طالب بمدرسة القضاء الشرعي

(ج) قلت هدانا الله وإياك محجة الصواب في الحكم ونعصمنا أن نتقول ما ليس لنا به علم: ان بعض الاندية جمعك بطائفة من المتعلمين البحاثين، وانهم ذكروا «التمثيل العربي» فاختلفوا في جواز اشتغال المرأة المسلمة به، وفي جواز تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام عامة وخاتمهم خاصة، فقالت طائفة منهم بجواز الامرين، وعللوا الاول «بأن أدوار التمثيل ونصوله لا تتم الا بالمرأة فاذا جوزنا التمثيل جوزنا ظهور المرأة المسلمة على مراسح التمثيل» وعللوا الثاني بأنه «درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي ينشده مشاهير الوعاظ وقل من يصادفه أو يجد له أثرا» وقالت طائفة أخرى بمنع الامرين وعدوه من التقليد الافرنجي الضار، الذي يغتر به الاغرار، وقلت انك وقفت حتى تستفتي المنار، فهاك ما أفهمه في المسألتين بالاختصار:

لم يأت فريق المجيزين بشيء من العلم، يدل على ماجزموا به من الحكم، فان سلمنا لهم ان التمثيل لا يتم الا بالمرأة — لا نسلم لهم ان جوازه يستلزم جواز اشتغال المرأة المسلمة به، بل نسألهم ماذا يعنون بهذا التمام؟ وهل يعتد به شرعا؟ ولماذا لا يستغنى فيه بالمرأة غير المسلمة التي تستبيح من أعماله ما لا يباح للمسلمة؟ وبأي حجة جعلوا القول بجواز التمثيل الذي ينقصه وجود المرأة المسلمة أصلا بنوا عليه القول بجواز اشتغالها بالتمثيل؟ وهل يعد التمثيل المطلق ان يكون مباحا أو مستحبا بشرط خلوه من فعل الحرام وذرائع الفساد، واشتماله على الوعظ النافع والارشاد؟ أوليس الصواب أن يقال — والامر كذلك — ان التمثيل الذي يتوقف على قيام المرأة المسلمة ببعض أعماله على الوجه المعروف في دور التمثيل بمصر غير جائز، لان ما توقف على غير الجائز فهو غير جائز، أو لان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح؟

ان اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل المعروف يشتمل على منكرات محرمة (منها) ظهورها على أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها كالرأس والنحر وأعالي الصدر والذراعين والعضدين، وتحريم هذا مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا حاجة الى ذكر النصوص فيه، (ومنها) الاشتراك مع الرجال الممثلين في أعمال تكثر في التمثيل وان لم تكن من لوازمه في كل قصة كالمعانقة والمخاصرة والملامسة بغير حائل (ومنها) غير ذلك من المنكرات التي تشتمل عليها بعض القصص دون بعض

كالتشبه بالرجال ، وتمثيل وقائع العشق والغرام المحرم بما فيه من الاعمال المحرمة لذاتها أو لكونها ذريعة الى المحرم لذاته . ولا أنكر انه يمكن للمكتب العالم بأحكام الشرع وآدابه أن يكتب قصة تمثيلية يودع بعض فصولها أعمالا شريفة وأقوالا نافعة اذا مثلتها امرأة مسلمة تبرز في دار التمثيل غير متبرجة بزينة ولا مبدية لشيء مما حرم الله ابداءه من بدنها ، ولا آتية بشيء من أعمال الفساد ولا من ذرائعه ، فان تمثيلها يكون بهذه الشروط مباحا أو مستحبا . مثال ذلك أن تؤلف قصة في الترغيب في الحرب للدفاع عن الحقيقة وحماية البلاد عند وجوبها باعتداء الاعداء عليها ، ويذكر فيها ماروي عن الخنساء رضي الله عنها في حث أبنائها على القتال بالنظم والنثر . فمن ذا الذي يتجرأ على القول بتحريم ظهور امرأة مثل الخنساء في مثل تلك الحال ، التي هي مثال الفضيلة والكمال ؟ ولكن امكان وضع مثل هذه القصة — وهو من الممكنات التي لم تقع — لا يبنى عليه القول باطلاق جواز ما هو واقع من التمثيل المشتمل على ماذكرنا وما لم نذكر من المنكرات المحرمة والمكروهة شرعا

وأما تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد علموه بأنه درس وعظ مؤثر ، يعنون ان كل ماكان كذلك فهو جائز ، وهذه الكلية المطوية ممنوعة ، وتلك المقدمة الصريحة غير متعينة ، فان هذه القصص قد توضع وضعا منفرا ، فلا تكون وعظا مؤثرا ، وان من الوعظ المؤثر في النفوس مايكون كله أو بعضه باطلا ، وكذبا وبدعا ، أو مشتملا على مفسدة أو ذريعة اليها ، ويشترط في جواز الوعظ ان يكون حقا لا مفسدة فيه ولا ذريعة الى مفسدة . وبناء على هذا الاصل ننظر في هذه المسألة من وجوه

(أحدها) ان العرف الاسلامي العام بعد تمثيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام إهانة لهم أو مزريا بقدرهم ، ومما أعهد من الوقائع في ذلك أن بعض النصارى كانوا أرادوا أن يمثلوا قصة يوصف عليه السلام في بعض المدن السورية فهاج المسلمون لذلك وحاولوا منعهم بالقوة ، ورفع الامر الى الآستانة فصدرت ارادة السلطان عبد الحميد بمنع تمثيل تلك القصة وأمثالها . فان قيل ان بعض مسلمي مصر كأولئك المتعلمين القائلين بالجواز لا يعدون ذلك اهانة ولا ازراء اذ لا يخفى على مسلم ان اهانة

الانبياء أو لازراء بهم أقل ما يقال فيه انه من كبائر المعاصي وقد يكون كفرا صريحا وردة عن الاسلام — نقول انما العبرة في العرف بالجمهور الذي تربى على آداب الاسلام وأحكامه لا بالافراد القلائل ومن غلبت عليهم التقاليد الافرنجية، حتى صاروا يفضلونها على الآداب الاسلامية ، كذلك القاضي الاهلي الذي حكم ببراءة استاذ مدرسة أميرية غازل امرأة محصنة وتصباها ، وكاشفها بافتتانه بجمالها ، حتى هجره الرقاد ، وواصله السهاد ، فشكت المحصنة هذه الوقاحة الى زوجها فرفع الزوج الامر الى قاضي العقوبات ، طالبا تعزير ذلك العادي المفتات ، فكان رأي القاضي ان مغازلة المحصنات الحسان وتصبيين ، بمثل ذلك الكلام الذي يفسدهن على أزواجهن لا يقتضي سجنا ولا غرامة ، ولا تأنيبا ولا ملامة ، لانه اظهار لحب الحسن والجمال ، وهو من ترقي الذوق وآيات الكمال ، ولكن ما رآه هذا القاضي المتفرنج حسنا وكمالا ، رآه السواد الاعظم من المسلمين نقصا قبيحا ، وأنكروه عليه في الجرائد حتى منعتها مراقبة المطبوعات من التمادي في الانكار ، واستأنف الزوج الحكم فنقضه لاستئناف ، وحكم بأن كلام ذلك الاستاذ جريمة منافية الآداب . ولو حاول بعض أحرق لتمثيل تمثيل قصة أحد رسل الكرام ، عليهم الصلاة والسلام . لرأوا من انكار العلماء والجرائد ما لا يخطر ببال أولئك الافراد الذي يرون جوازه ، ولو وقع مثل ذلك في بلد لم تتدال أهله سيطرة الحكام لما كان لا مثار للفتنة ، وانصدي الناس لصد الممثلين بالقوة ، بل يغلب على ظني ان أكثر الناس يعدون تمثيل الامراء والسلاطين ، وكبار رجال العلم والدين ، مما يزري بمقامهم ، ويضع من قدرهم . وان أحدا من هؤلاء الكبراء لا يرضى لنفسه ذلك .

(الوجه الثاني) ان أكثر الممثلين لهذه القصص من سواد العامة ، وأرقاهم في الصناعة لا يرتقي الى مقام الخاصة ، فان فرضنا أن جمهور أهل العرف لا يرون تمثيل الانبياء ازراء بهم على اطلاقه ، أفلا يعدون من الازراء والاخلال بما يجب لهم من التعظيم أن يسمى (السيد فلان) أو (الخواجه فلان) ابراهيم خليل الله أو موسى كليم الله أو عيسى روح الله أو محمدا خاتم رسل الله ؟ فيقال له في دار التمثيل يا رسول الله ما قولك في كذا . . . فيقول كذا . . . ولا يبعد بعد ذلك ان يخاطبه بعض

الظلماء بهذا اللقب في غير وقت التمثيل على سبيل الحكاية، أو من باب التهكم والزراية، كأن يراه بعضهم يرتكب إثما فيقول له : مدد يارسول الله ! ألا ان اباحة تمثيل هؤلاء الناس للانبياء قد تؤدي الى مثل هذا، وكفى به مانعا لو لم يكن ثم غيره

(الوجه الثالث) تمثيل الرسول في حالة أو هيئة تزري بمقامه ولو في أنفس العوام وذلك محظور وان كان تمثيلا لشيء وقع . مثال ذلك ان يمثل بعض هؤلاء الممثلين المعروفين يوسف الصديق عليه السلام بهيئة بدوي مملوك تراوده سيدته عن نفسه وتقد قميصه من دبر ، ثم يمثله مسجونا مع المجرمين . ويتجلى النظر في هذا الوجه ببيان مسألة من أعظم المسائل التي يغفل عنها أمثال أولئك الباحثين الذين ذكرهم المستفتي ، وهي ان الرسل عليهم الصلاة والسلام بشر ميزهم الله تعالى بما خصهم به من الوحي ، وهداية خالق الى الحق ، وقد كنت بشريتهم حجابا على أعين الكافرين حال دون ادراك خصوصيتهم، فأنكروا ان يكون الرسول بشرا مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق . وروي عن المسيح عليه السلام ان النبي لا يهان الا في وطنه وقومه ، وقال بعض العلماء في هذا المعنى : أزهد الناس في الولي أهله وجيرانه . أي لانهم قلما يرون منه الا ما هو مشارك لهم فيه من الصفات والعادات. وأما ما يمتاز به من دقائق الورع والتقوى والمعرفة بالله تعالى فمنه ما هو سابي لا يفطنون له ، ومنه ما هو خفي لا يدركونه ؛ ولذلك حتج في إيمان أكثر الناس بالرسل قبل الارتقاء العقلي الى الآيات الكونية . وبعده الى الآيات العلمية ، (كالقرآن الحكيم من الامي) والذين يؤمنون بالرسل من بعدهم يسمعون من أخبار آبائهم وخصائصهم وفضائلهم أكثر مما يسمعون من أخبار عاداتهم وصفاتهم البشرية، وبذلك يكون تعظيمهم وإجلالهم لهم غير مشوب بما يضعف الايمان مما من تصور شؤونهم البشرية. على ان الواجب ان يعرفوا منها ما يحول دون الغلو في التعظيم والاطراء الذي يرفع به الغلاة الانبياء الى مقام الربوبية والالهية ، والتفريط في ذلك كالافراط . فتمثيل أحوال الانبياء وشؤونهم البشرية بصفة تعد زراية عليهم والاستهزاء بهم أو مفضية الى ضعف الايمان والاخلال بالتعظيم المشروع - مفسدة من المفاسد التي يحظرها الشرع ، فكيف اذا أضيف اليها كون التمثيل في حد ذاته يعد في العرف العام تنقيصا

أو اخلالا ما مما يجب من التكريم - وكون الممثلين من عوام الناس ، وقد علمت ما في هذه الثلاثة

(الوجه الرابع) ان من خصائص القصص التمثيلية الكذب ، وان الكذب على الانبياء ليس كالكذب على غيرهم ، فاذا جاز أن يسند الى أسماء لا مسميات لها كلام تقصد به العظة والفائدة كما يحكون مثل ذلك عن ألسنة الطير والوحش وهو ما احتج به الحريري في فاتحة مقاماته على جواز وضعه لها ، واذا صح ان يقاس على ذلك اسناد مثل ذلك الكلام الى أناس معروفين من الملوك وغيرهم فيما لا ضرر فيه ولا افساد في التاريخ ولا غيره من الحقائق — اذا جاز ما ذكر وصح القياس فلا يظهر جواز مثله في الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، على أن في المسألة نصا خاصا لا محل للقياس مع وروده ، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « ان كذبا عليّ ليس ككذب على أحد ، فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما من حديث سعيد بن زيد ، وروي عجزه — وهو من كذب عليّ الخ — متواترا ، وروى أحمد من حديث عمر مرفوعا « من كذب عليّ فهو في النار » وهو مطلق لم يقيد بالتعمد واسناده صحيح . وقياس الكذب على غيره من اخوانه الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام جلي فهو أقرب من قياس الكذب على الرسل على الكذب على المجموات الذي احتج به الحريري وأشار الى اتفاق العلماء على جوازه . والكذب عليهم يشمل ما يحكى عنهم من أقوال لم يقولوها ، وما يسند اليهم من أعمال لم يعملوها

فان قيل انه يمكن وضع قصة لبعض الرسل يلتزم فيها الصدق في كل ما يحكى عنه أو يسند اليه ، قلنا ان النقل الذي يعتد به عند المسلمين هو نقل الكتاب والسنة ، ولا يوجد قصة من قصص الانبياء في القرآن يمكن فيها ذلك الا قصة يوسف وكذا قصة موسى وقصة سليمان مع ملكة سبأ اذا جعل التطويل فيهن في غير الحكاية عنهم . والأولى هي التي يرغب فيها الممثلون . ويرجى ان يقبل على حضور تمثيلها الكثيرون ، وفيها من النظر الخاص ما بيناه في الوجه الثالث . وأما السنة فليس في اخبارها المرفوعة ولا الموقوفة ما يبلغ ان يكون قصة تصلح للتمثيل الا وقائع السيرة المحمدية الشريفة ،

والعلماء بها لايكاد أحد منهم يقدم على جمع طائفة منها وجعلها قصة تمثيلية . واذا فتح هذا الباب ووجد منهم من يدخله على سبيل الندور لا يلبث ان يسبقه اليه كثير من الجاهلين بالسنة المتقنين لوضع هذه القصص بالاسلوب الذي يرغب فيه الجمهور فيضمون من قصص الانبياء المشتملة على الكذب ما يكون أروج عند طلاب الكسب بالتمثيل ، فيكون وضع الصحيح ذريعة الى هذه المفسدة

فعلم من هذه الوجوه ان جواز تمثيل قصة رسول من رسل الله عليهم السلام يتوقف على اجتناب جميع ماذكر من المفاسد وذرائعها بحيث يرى من يعتد بمعرفتهم وعرفهم من المسلمين انه لا يعد ازراء بهم ، ولا منافيا لما يجب من تعظيم قدرهم ، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى من اهتدى بهم .

رحلة الحجاز

٨

أيام منى ولياليها وأقوال الشعراء فيها

نصوص الشرع في أيام منى

قال عز وجل (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) أجمع العلماء على أن الايام المعدودات في هذه الآية هي أيام منى التي تسمى أيام التشريق . قيل إن سبب تسميتها بذلك أنهم يشرقون فيها لحوم الاضاحي أي يقددونها ويبرزونها للشمس . وقيل لان الهدايا والضحايا لم تكن تنحر فيها الا بعد شروق الشمس ، وقيل هو مأخوذ من قول الجاهلية : أشرق ثبير ، كيما نغير . أي ادخل يا ثبير في الشروق لكي نسرع في الدفع الى منى للنحر ، ذلك بأنهم كانوا لا يفيضون من المزدلفة الى منى الا بعد شروق الشمس ووقوعها على جبل ثبير أعظم تلك الجبال ، فأمرنا بمخالفتهم بالافاضة قبل الشروق . وقيل